الفصل الثالث

كنائس القاهرة وطرز العمارة والفنون المسيحية

المبحث الأول

العمارة والفنون المسيحية فى مصر

تمركزت الحياة الروحية والفكرية فى الديانة المسيحية منذ نشأتها وحتى اليوم حول الكنيسة، وهو ما دفع المعماريون إلى وضع تصاميم هندسية ومعمارية وفنية قوية للكنائس والأديرة والمبانى الدينية الأخرى، وصارت تصميماتها المعمارية شبيهة بتصميمات القلاع والحصون والمنشآت الأخرى غير الدينية.

وقد تطورت أنواع هذه العمارة على مدى ألفى سنة من الدين المسيحى، وذلك عن طريق الابتكار والتشبه بالطرز المعمارية الأخرى، فضلا عن الاستجابة للمعتقدات والممارسات والتقاليد المحلية. نشأت العمارة المسيحية المبكرة وتطورت أثناء القرون الأولى للمسيحية وتأثرت بعدد من الثقافات والطرز المعمارية الإقليمية فى أوربا والشرق الأوسط، ولكن معظم المعماريين المسيحيين الأوائل اقتبسوا كثيرًا من الرومان، واستخدموا العَقْد والقبو المعمارى، واتخذوا تصميم القاعات الرومانية الكبيرة، التى كانت تُستخدم للاجتماعات العامة، كقاعدة لتصميم النوع الرئيسى من الكنائس، أى البازيليكا.

وقد دخلت المسيحية مصر فى منتصف القرن الأول الميلادى، على يد القديس مارمرقس الرسول وقد خلت القرون الثلاثة الأولى من الكنائس

القبطية نتيجة اضطهاد الرومان للأقباط الذين كانوا يصلون سرا بالمغائر والمقابر، حتى أصدر الإمبرطور قسطنطين عام ٣١٣ميلادية حق مساواة الديانة المسيحية مع الديانات الرومانية الوثنية فى الإمبراطورية، وبعد اعتناقه المسيحية عام ٣٢٥ ميلادية أصدر مرسوم التسامح الدينى فى ميلان عام ٣٢٦ ميلادية، وأصبحت الديانة المسيحية هى الدين الرسمى للإمبراطورية الرومانية.

ولجأ المسيحيون إلى بناء كنائس على نمط البازيليكا، والتى كانت تتكون من صحن أوسط وجناحين موازيين للصحن وحنية فى الإمام للإمبراطور، وفى مصر استخدم الأقباط العديد من المعابد الفرعونية ككنائس، مثل ما تم فى معبد تحتمس ورمسيس الثانى أو الثالث، بعد أن نقش الأقباط الصلبان على الأعمدة وأعتاب الأبواب وأضافوا نصوصا قبطية من الكتاب المقدس على حوائط الهيكل، وغطوا الرسوم على الجدران بالملاط أو الجبس – وزينوها بصور الرسل والقديسين – باعتبارها رسوما وثنية.

وكان من الصعب فى تلك الفترة المبكرة خلال القرن الثالث والرابع تحديد هوية معمارية قبطية لتواضع شكل وحجم التصميم المعمارى المستخدم فى بناء الكنائس بسبب الضغوط الاجتماعية التى تعرض لها المسيحيون المصريون من فقر وذل تحت الاحتلال الرومانى، كذلك غياب الأمور الطقسية وتحديدها بصورة موحدة وثابتة فى تلك الفترة. وإذا كان هناك أمثلة معمارية أو كنسية ذكرت، إلا أنها تغيرت تماما بعد

الاعتراف بالمسيحية فى بداية القرن الرابع، ولم تستطع الأمثلة أن تقاوم عوامل الزمن والتوسع المسيحى المنتشر فتم إزالتها وتعديلها، لذا لا نستطيع أن نحدد هوية معمارية دينية فى مصر تقريبا خلال تلك الفترة.

وهكـذا، هيأت الإقامـة الدينية والسـكنية داخل المعابـد المصرية القديمـة نوعا من التأثير المعمارى فى العمارة القبطية للكنائس فيما بعد مثـل الصالة الكبرى، والممـرات الجانبية، قدس الأقـداس (الهيكل)، المذبح، صالات الأعمدة، البهو الخارجى، المداخل المنكسـرة. كما سعى الأقباط لاستقطاب عناصر معمارية متكاملة جلبوها من المعابد القديمة أو المقابر المجاورة لمكان إقامتهم كالأعمدة الجرانيتية وتيجانها، والأفاريز النحتية واستخدموها فى بناء أجزاء من الكنائس.

وقد أوضحت لنا المصادر الأثرية أنه خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين بدأت حركة انتشار الكنائس والأديرة فى مصر.لكن التطور المعمارى للكنيسة أو التكوين الديرى نستطيع تمييزه وتحديد ملامح تطوره منذ القرن الخامس الميلادى وواكب انتشار المسيحية وانتقالها من مفهومها الخاص بحرية العبادة عند الأفراد إلى هيمنة كنيسة مقننة ومقيدة، وبالتالى ظهور كنائس كبرى تجمع المؤمنين للصلاة والعبادة تحت سلطة كنيسة وأساقفة معينين، مع تحديد أماكن كبرى بعينها، واستخدمت نماذج معمارية متطورة لتواكب الظروف البيئية والمناخية وبالتالى انتشرت الإبروشيات فى معظم المدن المصرية.

عمارة الكنائس

فى القرن الرابع بدأ المسيحيون يشيدون الكنائس على الطراز البازيليكى، وأدخلوا عليه بعض التعديلات كاستعمال القباب التى بنوها بأحجار كبيرة منحوتة ومحلاة بنقوش بارزة. وفى القرنين الخامس والسادس كانت الكنائس تشبه المعابد ذات شكل خارجى مستطيل، وزخارف فرعونية أضيفت لها رموز مسيحية، والتصميم الداخلى يختلف تماما عن المعبد المصرى، ويقترب من البازيليكا مثل كنيستى الدير الأبيض والدير الأحمر بسوهاج.

شيد المسيحيون الكنائس حتى القرن السابع، بأحجار كبيرة وزينوها بنقوش بارزة تتناسب مع الدين الجديد، وأدخلوا ضمن النقوش صور طيور وحيوانات وأسماك وزخارف بأشكال هندسية.

والبازيليكا القبطية كان لها طابعها الخاص نظرا لبنائها داخل مستطيل، ووجود جناح أو ممر غربى داخلى ووجود حجرتين على جانبى الهيكل، والهيكل نصف دائرى، ثم تطور شكل الكنيسة وامتدت من الشمال إلى الجنوب بدل من الشرق إلى الغرب.

ومن أهم العناصر المعمارية بالكنيسة القبطية، الهياكل والمذبح والحنية الشرقية والخورس. والهياكل هى أقدس مكان فى الكنيسة، وتعتبر قدس الأقداس، أهمها الهيكل الأوسط فهو الأعرض والرئيسى والمكرس على اسم القديس المقامة الكنيسة على اسمه، وترتفع الهياكل درجة أو درجتين عن الخورس، وتغطى أبوابها بستر حرير، وتتصل

مع بعضها عن طريق أبواب تفتح على الهيكل الأوسط من البحرى والقبلى، أو عن طريق ممر خلفى خلف الهيكل الأوسط يسمى الضفير، أو يكون كل هيكل مستقل بذاته وليس له علاقة بالأخر.

أما المذبح يرتفع درجة عن سطح الهيكل، ويكون قائما وسط الهيكل، شكله حسب الطقس القبطى على شكل أطول من الشرق مما إلى الغرب، مكعب الشكل من المبانى أو الحجر المكسو بالرخام أو من الخشب، مربع المسقط تقريبا وضلعه حوالى متر تقريبا، بأحد جوانبه فتحة تؤدى إلى تجويف استخدمت لدفن القديسين فى العصور المبكرة، مغطى بأعلى ببلاطة من الرخام الأبيض والتى تأخذ أحد شكلين إما نصف مربع ونصف دائرة قطرها يساوى ضلع المربع ويكون نصف الدائرة نحو الشرق، وإما تأخذ شكل المستطيل، ويغطى المذبح بقبة خشبية محمولة على أربعة أعمدة من الرخام أو الخشب مزينة من الداخل برسوم دينية وسطها صورة السيد المسيح.

والحنية الشرقية أو حضن الأب، وهو الحائط الشرقى للهياكل ويكون خاصة الأوسط منها مجوف إلى الداخل كحنية، ويكون من المعتاد عدم بروز الحنية إلى الخارج، وتقوس الحائط الشرقى للداخل سمة قديمة، والحائط الشرقى نوعان: إما حائط مستو ورأسى يخلو من أى حنايا أو شاملا حنايا مربعة المسقط، وإما يكون على شكل حنية واحدة كبيرة بعرض الهيكل كله.

ومن مكونات الكنيسة القبطية ما يعرف باسم الخورس، وهو مخصص للشمامسة المكلفين بقراءة الإنجيل وترتيل الألحان الكنسية، وهو الجزء الذى يفصل أروقة الكنائس عن الهيكل.

تأثر الكنائس بالمعابد الفرعونية

احتفظ الأقباط بخصائص العمارة الفرعونية والتى تمثلت فى المعابد الفرعونية مثل سمك الحوائط، قلة الفتحات والنوافذ، وكان التصميم القبطى السائد للعمارة المسيحية فى مصر مع الأخذ فى الاعتبار احتمال أن شكل البازيليكيا المسيحية ليس لها أصل رومانى وهو تصميم مصرى أصيل وجدناه فى قاعة الاحتفالات الكبرى بمعبد الكرنك، وقد تأثر التصميم القبطى بالطراز البيزنطى بالأسقف ذات القباب، فقد بنى الأقباط المبانى الدينية والكنائس بطراز يجمع بين الطرازين البازيليكى والبيزنطى فلا توجد كنيسة تخلو من عناصر متناسقة من كل من الطرازين، وكان طقس الكنيسة القديمة مستقل فى هندسته، ولم يكن المهندسون الأقباط يميلون إلى تصميم الكنيسة على شكل صليب كالكنائس البيزنطية إلا أن القبة عند الأقباط كانت ولا تزال هى النموذج المفضل لأسقف الكنائس سواء كانت واحدة أو عدة قباب، وكانت أقرب الكنائس للطراز البازيليكى لا تخلو من قبة الهيكل الأوسط، وغالبا غطيت الهياكل الجانبية بقبتان جانبيتان.

وقد تطور التشكيل المعمارى للكنائس والأديرة القبطية على مر العصور، وكان لكل فترة زمنية ما يميزها،وظلت العمارة القبطية

محتفظة بالخصائص المصرية القديمة، والتى ظهرت واضحة فى التراث القبطى فى الكنائس والأديرة القديمة، وكان للعقيدة والرمزية أثر كبير فيها، وتعتبر القبة أهم السمات الأساسية التى تتميز بها الكنيسة القبطية حيث يندر وجود مبنى كنيسة قبطية بدون قبة.

ويمكن القول أنه فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى مصر ظهرت تجليات العمارة القبطية والتى تعود أصولها بحسب عدد من الباحثين إلى العمارة المصرية القديمة، وإحدى نقاط التشابه بين خطة بناء المعابد المصرية القديمة، من التقدم من الفناء الخارجى إلى الملاذ الداخلى الخفى لتلك الموجودة فى الكنائس القبطية، من صحن الكنيسة الخارجى أو الشرفة، والملاذ الخفى وراء الحاجز الأيقونى أو الأيقونسطاس. وهكذا منذ بداياته المبكرة انصهرت العمارة القبطية الأصلية مع التقاليد المصرية والأنماط المعمارية اليونانية-الرومانية والبيزنطية المسيحية.

أما الفن المسيحى فى الكنائس فقد مر بعدة مراحل، حيث اتخذت المسيحية الباكرة منذ البداية موقفا سلبيا من ذلك الفن ومن المبادئ الجمالية التى يمثلها، غير أنها طوعت نفسها بعد ذلك للانتقال من مرحلة الرفض والنقد لمقاييس الفن والجمال آنذاك، إلى فن جديد اعتبر إفرازا للمرحلة الروحية الجديدة وتجلياتها المتمثلة فى المبادئ الجمالية المنبثقة من دين سماوى يرفض الآلهة الوثنية ويحاربها.

ويمكن القول إن خطى الفن المسيحى قد تعثرت لهذا السبب فى القرون المسيحية الأولى، غير أنها - وبداية من القرن الخامس الميلادى،

وعبر رعاية وحضانة إمبراطورية بيزنطية- تمكنت من تجاوز ذلك؛ لتشكل المسيحية فنا خاصا بها، لامس مرحلة النضج حين بدأت تتضح قسمات الفن المسيحى الجديد.

كان من الطبيعى أن تسهم شعوب مصر والشرق الأدنى وبلاد اليونان فى بواكير هذا الفن المسيحى، ومن ذلك تأثيرات المدرسة الفنية بالإسكندرية على الجداريات الرومانية، وكذا ما عرف باسم بورتريهات الفيوم التى تصور الشخص المسيحى ذا العيون الواسعة فى المواجهة، وليس على شكل البروفيل الرومانى السابق، فضلا عن دخول القباب والعقد دائرة الفن المسيحى وتجلياته فى الكنائس والكاتدرائيات.

الفن والرهبنة

تجنبت المسحة الروحانية للمسيحية -وبدفعة من الظاهرة الرهبانية التى تنامت فى مصر والشام القديم - تقديس الطبيعة كما الفنون الوثنية السابقة، بل دفعت إلى التسامى بالحقائق الروحية عن طريق الفن وتم النظر على سبيل المثال إلى الجسد المادى بوصفه أداة للشر، بينما تم تبجيل النظرة إلى الروح بوصفها أداة الخلاص.

ويمكن القول إن مسألة التقرب إلى الرب كانت الغاية الأساسية من الفن المسيحى الباكر، ولهذا فإن البدايات الأولى لهذا الفن كانت دينية بحتة عبر بعض الصور والتماثيل القليلة. فقد كان الفن المسيحى الباكر

-عبر الصور الفنية- يهدف إلى تكريس فكرة الخشوع والتقرب إلى الرب، فضلا عن البحث عن السكينة الروحية. محاذرا على الدوام من الوقوع فى فخ الفن الوثنى.

صورة المسيح

فيما بعد تطورت صورة السيد المسيح حسب ثقافة المجتمع الذى صور فيه ذلك، فقد رسم الفنان المسيحى الرومانى المسيح بوجه فتى رومانى. وفى القرن الرابع الميلادى نجد صورة أخرى للمسيح بعينين زرقاوين،و شعر أملس ينسدل على أكتافه ليغطى أذنيه. بينما نجد الفنان المسيحى السورى يصور المسيح بلحية سوداء وشعر مجعد.

ومن المعروف أن التماثيل التى تجسد البشر كانت من أهم تجليات الفنون عبر عصورها الوثنية. ولهذا كان من الطبيعى للمسيحية أن تقاوم - ولعدة قرون - نحت التماثيل المجسدة، وخاصة للشخصيات المقدسة، فقد كان للمسيحية مفهومها ومتطلباتها الخاصة، فقد رأى آباء الكنيسة الأوائل أن الأرواح الشريرة تسكن تلك التماثيل. وهكذا حاول الفنان المسيحى الأول السير على خطى الكنيسة والابتعاد عن الفن المجسد، انطلاقا أيضا من إحدى الوصايا العشر التى تحرم تجسيد الصور الغائرة، بالإضافة إلى تجنب قواعد فن نحت التماثيل الكلاسيكية، التى برعت فى تجسيد الأعضاء الجسدية للرجال والنساء بشكل واضح، فضلا عن مسألة نحت تماثيل عارية تفضح مفاتن الجسد.

لقد تشدد المسيحيون الأوائل مع تلك التماثيل التى عدوها وثنية، وقاموا بتدمير بعضها بالفعل، ولهذا كله كان من الطبيعى أن يتبع الفنان المسيحى تعليمات الكتاب المقدس الذى فاضت آياته بتحريم صنع التماثيل.

على أن موقف الكنائس المسيحية الشرقية والغربية قد أصابه الانشقاق تجاه مسألة التماثيل وخاصة داخل الكنائس، فعلى حين رفضت كنائس القسطنطينية وأنطاكية والإسكندرية ذلك، فقد سمحت بها الكنيسة الكاثوليكية فى روما وما يتبعها من كنائس فى الغرب الأوربى، وذلك عبر استغلال الفن المسيحى الذى شيد التماثيل ذات الدلالة الدينية المسيحية، والتى استخدمت أيضا فى نشر الدين الجديد فى أوساط الغرب الأوربى الذى يعانى من الجهل بالقراءة والكتابة، وهكذا تم استغلال التماثيل المسيحية من أجل هدف تعليمى وتثقيفى بحت.

وفى المرحلة المسيحية الباكرة تنوعت الأيقونات ما بين السيد المسيح وهو يحمل صليبه، بينما تم تمثيل روح القدس على شكل حمامة، بينما تم تصوير الكنيسة على شكل الصياد الذى يصطاد السمك (الرعايا المسيحيين).

ومنذ القرن الرابع الميلادى انتقلت الأيقونة من مرحلة الرمز أو الصورة إلى مرحلة الواقعية والتجسيد المادى. إذ استعملها الرهبان ورجال الدين فى الشرق المسيحى بوصفها أداة تعليمية للرعايا المسيحيين غير القادرين على القراءة والكتابة. وتحولت منذ القرن

الخامس الميلادى لكى يصبح دورها التعريف بالإنجيل وتصوير أحداثه، لدرجة أن البابا كيرلس – بابا الكنيسة المصرية – أمر بتعميم استخدام الأيقونات فى الكنائس.

تمصير الفن المسيحى

إذا ما تطرقنا للفن المسيحى فى مصر، سوف نجد أن الفن كان راسخاً فى مصر قبل تبشير القديس مرقس بالمسيحية بها، وذلك عبر تنويعاته الفرعونية واليونانية، مما أفرز بعد ذلك فنا محليا متأثرا بالروحانيات المستمدة من الدين الجديد، ومن حركة الرهبنة التى ابتدعها المسيحيون المصريون قبل انتقالها إلى جميع أرجاء العالم المسيحى.

وقام الفنان المصرى (القبطى) بعمل الجداريات التى استمدت موضوعاتها من حكايات الكتاب المقدس. كما برع أيضا فى صناعة الأيقونات. غير أن الأمر المثير أن الصليب الذى كان قد أصبح من الرموز الأساسية للفن المسيحى قد تأثر بمؤثرات وثنية سابقة، عبر علاقته بعلامة عنخ الفرعونية. واستمر الفنان المسيحى المصرى فى استخدام الصليب الفرعونى فى الجداريات المسيحية حتى منتصف القرن السابع الميلادي. بالإضافة إلى قيامه بتصوير آلهة اليونان والرومان، بالإضافة إلى صور المحاربين، والراقصات، والعازفين على الناى أو القيثارة، إلى جوار موضوعات العهد القديم.

ومن المعروف أن المسيحى المصرى قد اعتنق ديانة الثالوث المسيحى فى الإله الواحد، فكأنما رأى فى ذلك – لأول وهلة – تجسيدا لثالوث

آلهته القديمة، كما وجد فى مريم العذراء وطفلها يسوع، ووراءهما الأب غير المرئى تجسيدا لإيزيس وطفلها حورس ومن ورائهما المطلق، غير القابل للتجسيد. فانعكس ذلك على الفن المسيحى المصرى، الذى استرجع صورا فنية من الفترة الفرعونية ليعيد إنتاجها لتوافق الواقع المسيحى الجديد، من ذلك -بخلاف مسألة استدعاء صليب عنخ- ما تم من إعادة رسم صورة تمثل الإله حورس، وهو يضرب برمحه سَتَّ إله الشر، لتتحول وتصور مار جرجس وهو يطعن التنين بالرمح أيضا.

كما استخدم الفنان المسيحى المصرى العديد من الرموز أثناء إنجازه للجداريات والتصاوير والأيقونات، وهى الرموز التى يستطيع المتلقى المسيحى فهم دلالاتها بسهولة، من ذلك استخدامه للنسر كرمز للقيامة وهزيمة الموت؛ ليصبح نظيرا للمسيح العائد من الموت. كما يرتبط النسر أيضا بالقديس يوحنا فى العديد من التصاوير والأيقونات.

أما استخدامه للطاووس فقد جاء باعتباره طائر الفردوس، ورمز القيامة والطهارة، بحيث لا يتطرق إلى جسده الفساد حتى بعد الموت. أما الحمام فيحمل رمزية الوداعة والبشارة.

وبعد انتشار حركة الرهبنة فى صحراء مصر، استخدم الفنان المسيحى رمز الغراب كى يحمل الخبز اليومى إلى القديس أنطونيوس، بوصفه خبزا سماويا. كما استخدم أيضا فى تصاويره الزواحف باعتبارها قوى الشر، وخاصة الحية التى تجسد بداخلها الشيطان الذى همس إلى حواء.

كما كان للفنان المصرى هويته الخاصة فيما يتعلق ببنائه للكنائس الجديدة. فكان من الطبيعى أن يتأثر بتأثيرات معمارية يهودية أيضا.

وفضلا عن ذلك، فقد ازدهر نوع آخر من الفن المسيحى فى مصر، يتعلق بتلوين التصاوير والجداريات عبر ما عرف باسم الفريسك. والحقيقة أن صناعة الفريسك قد وجدت فى مصر منذ عهد البطالمة، ليعيد الفنان المصرى استخدامها من جديد فى تصاويره المسيحية الجديدة.

كان الفريسك عبارة عن نوع من التلوين أو التصوير المائى يتم على الملاط حديث الصنع، ويستخدم فى التصاوير الجدارية، وهو نوعان: الأول منه هو الفريسك الرطب أو الطازج الذى يتفاعل مع الجدار ويتداخل مع طبقات الأرض الجصية له. والثانى هو الفريسك الجاف الذى يتم تثبيته على الجدار أو الأرضية عبر استخدام مثبتات مثل الغراء والشمع أو زلال البيض.

كان الفريسك الجاف أكثر استخداما فى الفن المسيحى فى مصر؛ لأن عمله كان يتم فى مكان منفصل عن الجدار، ثم يجرى تثبيته عبر بعض الوسائط مثل شمع العسل وزلال البيض أو الغراء والصمغ أو حتى صفار البيض، أو الكازين الذى كان عبارة عن مسحوق لبن متخثر منزوع الدسم مع الصمغ، وكان شائع الاستعمال فى فترة العصور الوسطى، أو بواسطة الشمع الانكوستيك، وهو عبارة عن شمع العسل مع زيت الكتان.

أما الفريسك الرطب فكان يمثل صعوبة لدى الفنان المسيحى المصرى؛ لأن المدى الزمنى المتاح له قصير نسبيا، إذ ينبغى على الفنان أن ينتهى من عمله قبل أن يجف الملاط.

□□□

المبحث الثانى

كنائس القاهرة

حكاية حصن بابليون وكنائس مصر القديمة

يقع حصن بابليون الآن فى منطقة مصر القديمة أو المعروفة باسم القاهرة القبطية، وكان الإمبراطور تراجان قد أمر ببنائه فى القرن الثانى الميلادى فى فترة حكم الرومان لمصر وقام بترميمه وتوسيعه وتقويته الإمبراطور الرومانى أركاديوس فى القرن الرابع الميلادى، حسب رأى العلامة القبطى مرقص سميكة باشا.

ويلاحظ فى بناء بقايا حصن بابليون القائمة الآن أنه استعمل فى بنائها أحجار أخذت من معابد فرعونية وأكملت بالطوب الأحمر. ولم يبق من مبانى الحصن سوى الباب القبلى يكتنفه برجان كبيران – وقد بنى فوق أحد البرجين الكنيسة المعلقة، كما بنى فوق البرج الذى عند مدخل المتحف القبلى كنيسة مار جرجس الرومانى للروم الأرثوذكس (الملكيين) أما باقى الحصن وعلى باقى السور فى بعض أجزاؤه من الجهة الشرقية والقبلية والغربية بنيت الكنائس – المعلقة – وأبو سرجة – ومار جرجس – والعذراء قصرية الريحان – ودير مار جرجس للراهبات – والست بربارة –، بالإضافة إلى معبد لليهود.

ولحصن بابليون حكاية ترجع إلى عام ٦٤١ م حينما سقط الحصن فى يد عمرو بن العاص بعد حصار دام نحو سبعة أشهر، وكان سقوطه إيذانًا بدخول الإسلام فى مصر. واختار ابن العاص مكانا صحراويا يعتبر عسكريا موقعا استراتيجيا شمال حصن بابليون وأقام فيه مدينة الفسطاط فوق عدة تلال يحدها جبل المقطم شرقا وخلفه الصحراء التى يجيد فيها العرب الكر والفر والحرب، بينما يحدها النيل من الناحية الغربية، وبركة الحبش جنوبا وهما مانعان طبيعيان. شيد عمرو بن العاص مدينة الفسطاط كمدينة حصن وبها حصن بابليون لتكون مدينة للجند العرب.

يعرف الحصن الرومانى بقصر الشمع أو قلعة بابليون وتبلغ مساحته حوالى نصف كيلومتر مربع ويقع بداخله المتحف القبطى وست كنائس قبطية ودير. وقد أطلق اسم قصر الشمع على هذا الحصن حيث كان فى أول كل شهر يوقد الشمع على أحد أبراج الحصن التى تظهر عليها الشمس ويعلم الناس بإيقاد الشمع بانتقال الشمس من برج إلى أخر.

الكنيسة المعلقة:

تعتبر الكنيسة المعلقة من أهم المزارات الدينية التى تمثل التراث القبطى فى العاصمة القاهرة، وتمثل بموقعها الفريد فى حى مصر القديمة العريق نقطة جذب للسائحين، وبخاصة هواة التعرف على حضارة الأديان.

تقع الكنيسة المعلقة فى حى مصر القديمة، فى منطقة أثرية مهمة، فهى على مقربة من جامع عمرو بن العاص، و معبد بن عزرا اليهودى، و كنيسة القديس مينا بجوار حصن بابليون، و كنيسة الشهيد مرقوريوس (أبو سيفين)، و كنائس عديدة أخرى. و سميت بالمعلقة لأنها بنيت على برجين من الأبراج القديمة للحصن الرومانى (حصن بابليون)، و تعتبر المعلقة هى أقدم الكنائس التى لا تزال باقية فى مصر.

تذهب بعض الروايات إلى أن الكنيسة بنيت على أنقاض مكان احتمت فيه العائلة المقدسة (السيدة مريم العذراء، المسيح الطفل، و القديس يوسف النجار) أثناء الثلاث سنوات التى قضوها فى مصر استنادا إلى الكتاب المقدس هروبا من هيرود حاكم فلسطين الذى كان قد أمر بقتل الأطفال تخوفا من نبوءة وردته عن ميلاد المسيح. و البعض يرى أنها مكان لقلاية (أى مكان للخلوة) كان يعيش فيها أحد الرهبان النساك، فى واحد من السراديب الصخرية المحفورة فى المكان.

وقد جددت الكنيسة عدة مرات خلال العصر الإسلامى مرة فى خلافة هارون الرشيد حينما طلب البطريرك الأنبا مرقص من الوالى الإذن بتجديد الكنيس، ومرة فى عهد العزيز بالله الفاطمى الذى سمح للبطريرك افرام السريانى بتجديد كافة كنائس مصر، و إصلاح ما تهدم. و مرة ثالثة فى عهد الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى.

وكانت الكنيسة مقرا للعديد من البطاركة منذ القرن الحادى عشر، و كان البطريرك خريستودولوس هو أول من اتخذ الكنيسة

المعلقة مقرا، و قد دفن بها عدد من البطاركة فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر، و لا تزال توجد لهم صور و أيقونات بالكنيسة تضاء لها الشموع، و كانت تقام بها محاكمات الكهنة، و الأساقفة، و محاكمات المهرطقين فيها أيضا، ويقصد بها محاكم التفتيش، أى التحقيق فى البدع الهرطوقية، وكانت عبارة عن ديوان أو محكمة مهمتها اكتشاف مخالفى الكنيسة ومعاقبتهم. ولمحاكم التفتيش سلطة قضائية كنسيه استثنائية كانت فى جميع أنحاء العالم المسيحى تحارب جرائم البدع والردة، وأعمال السحر وغيرها.

كما كانت الكنيسة المعلقة مزارا مهما للأقباط، نظرا لقدمها التاريخى، وارتباط المكان بالعائلة المقدسة، ووجودها بين كنائس و أديرة لقديسين أجلاء، فتسهل زيارتهم أيضا.

تقع واجهة الكنيسة بالناحية الغربية على شارع مارى جرجس، وهى من طابقين. وتوجد أمامها نافورة، و قد بنيت بالطابع البازيليكى الشهير المكون من ٣ أجنحة وردهة أمامية وهيكل يتوزع على ٣ أجزاء، و هى مستطيلة الشكل، و صغيرة نسبيا فأبعادها حوالى ٢٣,٥ متر طولا و١٨٥ مترا عرضا و٩٥ مترا ارتفاعا. وهى تتكون من صحن رئيسى وجناحين صغيرين، و بينهما ثمانية أعمدة على كل جانب، و ما بين الصحن والجناح الشمالى صف من ثلاثة أعمدة عليها عقود كبيرة ذات شكل مدبب، و الأعمدة التى تفصل بين الأجنحة هى من الرخام فيما عدا واحدا من البازلت الأسود، و الملاحظ أن بها عدد من تيجان الأعمدة

«كورنثيـة» الطراز. و فى الجهة الشـرقية من الكنيسـة توجد ثلاثة هياكل هي: الأوسط يحمل اسـم القديسة العذراء مريم، و الأيمن باسم القديس يوحنا المعمدان، و الأيسر باسم القديس مارى جرجس.

أمام هذه الهياكل، توجد أحجبة خشبية، وأهمهم الحجاب الأوسط المصنوع من الأبنوس المطعم بالعاج الشفاف، ويرجع إلى القرن الثانى عشر أو الثالث عشر، ونقش عليه أشكال هندسية وصلبان جميلة، وتعلوه أيقونات تصور السيد المسيح على عرش، وعن يمينه مريم العذراء و الملاك جبريل و القديس بطرس، وعلى يساره يوحنا المعمدان و الملاك ميخائيل و القديس بولس، و بأعلى المذبح بداخل هذا الهيكل توجد مظلة خشبية مرتكزة على أربعة أعمدة، و من خلفه منصة جلوس رجال الكهنوت. فى الجناح الأيمن من الكنيسة، كما نشاهد على الجدران صورا تم تعليقها لأجزاء من صحف مصرية، راصدة أحداثا ومشاهدا من التاريخ الحديث للكنيسة، و المتعلقة بالأقباط فى مصر، و ربما أهمها ظهور السيدة مريم العذراء حسب اعتقاد البعض فى كنيستها بحى الزيتون فى أعقاب هزيمة حرب ١٩٦٧م.

دفن بالكنيسة عدد من رجال الدين المسيحى فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين وتوجد لهم بها صور وأيقونات تضاء لها الشموع.

كما نجد سقف الكنيسة من الخشب الأثرى جدا ومثبت به النجف النـادر والقناديـل التى تضاء باستمرار.

وتضم الكنيسة مكتبة موسيقية تحوى مجموعة من التراتيل والأدعية النادرة، كما يوجد فى جناح الكنيسة الجنوبى باب صغير من خشب الصنوبر المطعم بالعاج يؤدى إلى ما يسمى بالكنيسة الصغرى وهى عبارة عن مقصورة جانبية مشيدة فوق البرج الشرقى للبوابة الجنوبية للحصن وهى تمثل حاليا أقدم الأجزاء المتبقية من البناء الأصلى للكنيسة.

وتنتمى المعلقة إلى الطراز البازيليكى البناء المستطيل المستوحى من شكل الصليب وهى الكنيسة الوحيدة فى مصر التى لا قبة لها لأنها ليست مبنية على الأرض مباشرة وسقفها على هيئة سفينة ويتكون من جمالونات خشبية مقامة على أعمدة رومانية لا يزال بعضها محتفظا بزخارفه الرومانية والبعض الآخر طمست معالم تيجانه نتيجة دمار لحق بالكنيسة فى القرنين الثالث عشر والسابع عشر ثم أعيد بناؤه طبقا للطراز المصرى القديم إلا أن إعادة بنائه تمت بمواد مختلفة وكانت تعتمد أساسا على الأخشاب التى تم استيرادها فى ذلك الوقت.

كنيسة دير أبى سيفين:

تقع داخل دير أبى سيفين، شمال حصن بابليون، وقد هدمت الكنيسة فى القرن الثامن الميلادى ولم يبقى من العمارة الأولى إلا كنيسة صغيرة بالجانب البحرى على اسم القديسين يوحنا المعمدان ويعقوب

وقد جددت الكنيسة زمن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ثم أحرقت سنة ١٨٦٨ م فى عهد شاور الوزير الفاطمى.

ويقع دير الشهيد فيلوباتير مرقوريوس أبى سيفين فى شارع جامع عمرو مصر القديمة مركز الفسطاط القديم وهو من أديرة الراهبات. كان الدير منعزلا تماما ويحيط به من الخارج سور عال. وكان معروفا قديما باسم دير أبى سيفين للبنات أو دير البنات بحارة البطريرك بدرب البحر. وترجع هذه التسمية إلى أن الدير منذ إنشائه حتى أوائل القرن التاسع عشر كان مطلا على شاطئ النيل وقتها ثم انحسرت مياه النيل تدريجيا وأصبح يبعد عن منطقة الدير بحوالى ٦٠٠ متر تقريبا. أما تسمية حارة البطريرك فترجع لوجود مقر البطريركية القديمة بكنيسة الشهيد أبى سيفين الأثرية الموجودة بجوار الدير الحالى منذ عام ١٥٢٦م إلى عام ١٧٩٧م.

ويقول المؤرخون إن هذه الكنيسة شيدت غالبا قبل القرن السادس الميلادى وكرست على اسم القديس أبى سيفين وهو ينتسب إلى عائلة عريقة ثرية، كان ضابطا فى الجيش الرومانى واستشهد عام ٣٦٢م فى عهد الإمبراطور يوليانوس الوثنى بسبب اعتناقه للمسيحية وجهاده فى سبيل نشرها، وتظهر صورة هذا القديس فى زى الجندى ممتطيا جوادا وهو يشهر سيفين فوق رأسه ويدوس يوليانوس المذكور بجواده. ويروى أن الملاك ميخائيل ظهر له فى رؤية وقلده السيف الثانى رمزا لجهاده فى سبيل نشر الدين، وأقيمت فى مصر عدة كنائس على اسمه فى الوجهين القبلى والبحرى.

تعرضت منطقة الدير التى يحوطها المسيحيون الأقباط على مر العصور للهدم والتخريب والحريق ثم العمران، حيث تهدمت الكنيسة فى أواخر القرن السابع الميلادى، ولم يبق من عمارتها الأولى إلا كنيسة صغيرة بالجانب البحرى. ثم أعيد بناء الكنيسة والدير فى مكانهما الأصلى فى عصور تالية بعد الحريق الذى قضى على أشهر كنائس الأقباط فى هذا العصر والمعروف بحريق الفسطاط.

وتبدو الحارة التى تقع بها كنيستا الأنبا شنودة وأبى سيفين بمنطقة مصر القديمة مثل طريق مسدود ولكنها تنفتح على ممر ضيق بعد مسافة قليلة من الكنيسة الأخيرة ومازالت هناك بين الحوائط المرتفعة منحنيات قليلة بزوايا حادة تقود الزائر إلى باب الدير،ومن هناك يدخل إلى ممر مستقيم مظلم ثم يأتى إلى باب آخر محاط بالقضبان وهو باب الدير.

ويضم الدير المبنى الذى تعيش فيه الراهبات، هذا المبنى مكون من ثلاثة طوابق على الطراز العربى، والطابق العلوى له إطار خشبى عبارة عن مشربية محفورة فى الحائط وأسفله مشربية أخرى بارزة عليها قضبان خفيفة من الخشب، وخلف المندرة (حجرة الاستقبال) نجد إسطبلا وطاحونة، وهذه الطاحونة عبارة عن تحفة قديمة فى حجرة مجاورة ومنقوش على حجارتها باللغة العربية تاريخ ١٤٨٠م.

ويؤكد مرقس سميكة باشا فى كتاب دليل المتحف القبطى أن الدير كان يضم خمس وأربعون راهبة، وبه مقصورة أبى سيفين وبها أيقونة يرجع تاريخها إلى عام ١٧٥٨م.

كنيسة الأنبا شنودة:

تعد كنيسة الأنبا شنودة من ضمن الكنائس الأثرية بمنطقة مصر القديمة، وهى تُنسب إلى الأنبا شنودة رئيس المتوحدين أحد الرهبان من آباء القرن الخامس الميلادى، والذى عاش كمصلح اجتماعى وروحى، على الرغم من ارتباط العبادة عنده بالحياة الاجتماعية إلا أنه ظل يمارس حياة العزلة باستمرار لذلك تأهل لأن ينال لقب رئيس المتوحدين.

تقع بدير أبى سيفين شمال حصن بابليون وجنوب كنيسة أبى سيفين ويرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر الميلادى ، وجددت مثل باقى كنائس مصر القديمة على مر العصور وتخطيطها بازيليكى.

ويعد الأنبا شنودة رئيس المتوحدين مؤسس الحضارة القبطية وزعيم الثورة القبطية الحضارية والفكرية سمى بأبى القبط أو أبو المصريين. وهو يُعتبر أهم شخصية تمثل رهبنة الشركة فى مصر بعد القديس باخوميوس بل أعظم شخصية مصرية فى العصر القبطى بأسره. دُعى «أرشمندريت» أى رئيس المتوحدين، لأنه كان يمارس حياة الوحدة من حين إلى آخر، وقد شجع بعض رهبانه على الانسحاب إلى الحياة الاجتماعية دون قطع علاقتهم بالدير تمامًا. فكانت العبادة عند القديس شنودة ترتبط بالحياة الاجتماعية، بمعنى أن الدين هو حب عملى وتقوى لهذا لم ينعزل القديس شنودة ورهبانه الآلاف عن المجتمع المصرى.

وقد عرفت العديد من الكنائس والأديرة باسم الأنبا شنودة تبركا به ولكونه أحد أهم الشخصيات الدينية فى تاريخ المسيحية المصرية.

وتتكون الكنيسة من الصحن الذى ينقسم إلى قسم للرجال وقسم للنساء وهو مغطى بسقف مرتفع، ويوجد جناح شمالى وآخر جنوبى ينفصلان عن الصحن بواسطة أعمدة رخامية يتوج معظمها تيجان كلاسيكية من الواضح أنها كانت من قبل قائمة بأحد المعابد الرومانية أو الإغريقية، ويستند على هذه الأعمدة إطار خشبى متصل ويحمل هذا الإطار آثار ألوان جميلة وبعض الحروف القبطية، كما أنه مزخرف بصلبان بارزة بمعدل صليب واحد بين كل عمودين، أما المنبر الموجود فى الصحن فهو عبارة عن قطعة فنية رائعة من الحفر العربى على خشب الورد المزخرف بصلبان من العاج، ويعد الجناح الجنوبى أكثر اتساعًا وينفتح على جناح خارجى، ويحتوى على صهريج كبير للغطاس وجرن للمعمودية.

ومن الملاحظ أن صور القديسين والملائكة قد رُصت على الرفوف حول الخورس، ومنها صورة يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر لأيقونة للملاك ميخائيل شفيع الكنيسة الذى يبدو فى هيئة شيخ مرفوع القامة فى لحية طويلة يمسك صليبًا بيديه المطويتان على صدره وملابسه تدل على العظمة الفريدة. وفوق حجاب الهيكل نجد السلسة المعتادة المكونة من سبع صور فى وسطهم صورة السيدة العذراء على العرش وعلى كل جانب ثلاث صور بكل منها تلميذان يحمل كل منهما صليبًا فى يده اليمنى وإنجيلاً فى يده اليسرى وحول رأسه هالة من المجد، أما الهيكل نفسه فهو نصف دائرى وبه منصة يعلوها المذبح المظلل

بقبة خشبية مرتكزة على أربعة أعمدة وفى أحد أركان الهيكل دولاب خشبى به حوض ودورق مصنوع من الخزف لكى يغسل الكاهن يديه عند رفع القربان.

ومن المكتشفات الحديثة بالكنيسة، أنه تم العثور أثناء ترميم حوائط الهيكل الجنوبى على عمود من الحجر بارتفاع يصل إلى أربعة أمتار وبقطر متوسط ٤٠ سم ويقع هذا العمود فى الجدار الشرقى للهيكل، وفى الجزء السفلى منه بداية ممر للهروب أثناء عصر الاضطهاد، ولكن نهاية هذا الممر حاليًا مسدود وغير واضح إلى نهايته. كما تم إنشاء برج للجرس، حديثا، يظهر من الشارع الخارجى لجامع عمرو بن العاص.

كنيسة العذراء الدمشيرية:

تقع داخل دير أبى سيفين فى الصف المقابل لكنيسة أبى سيفين والأنبا شنودة بمنطقة كنائس مصر القديمة، وسميت بالدمشيرية نسبة لمجددها فى القرن الثامن الميلادى، فالذى قام بترميمها هو أحد أعيان القبط من بلدة دمشير بمحافظة المنيا، وقد تولى ترميم ما تصدع من بنيانها فى القرن الثامن عشر الميلادى، أى حوالى عام ١٧٦٠م.

بنيت الكنيسة فى القرن السابع الميلادى وقد ورد ذكر هذه الكنيسة فى كتاب المقريزى حيث يروى أن كنيسة الست مريم المجاورة لكنيسة الأنبا شنودة فى مصر قد هدمت عام ٧٨٥ م، وأعيد بناؤها فى عصر الخليفة هارون الرشيد عندما صرح الوالى موسى بن نصير للنصارى بتجديد الكنائس التى هدمها الوالى السابق وتم ذلك فى ٧٨٦ – ٧٨٧م.

ويعتمد الشكل المعمارى للكنيسة على التصميم البازيليكى، وتتكون من صحن وجناحان ينفصلان عن الصحن بواسطة ستة أعمدة من الرخام ثلاثة منها فى كل جانب. وصحن الكنيسة يبلغ ١٩ مترا طولا، ١١,٥ مترا عرضا، ١١ مترا تقريبا فى الارتفاع. والسقف الرئيسى يغطى الصحن وهو عبارة عن جماليون خشبى مرتفع أما الأجنحة فيغطيها سقف منخفض. وشكل الجماليون والسقفين المنخفضين يذكرنا بسفينة نوح كرمز يرفع قلوبنا إلى أن الكنيسة هى السفينة التى تنقذنا من طوفان بحر العالم.

ويوجد فى الهيكل الأوسط للكنيسة مذبح باسم السيدة العذراء وتعلوه قبة كبيرة تقوم على أربعة أركان من المقرنصات. تعلو المذبح قبة خشبية عليها صورة السيد المسيح الحيوانات الأربعة غير المتجسدين ويعلو القبة صليب.

أما حامل الأيقونات الأوسط، أو حجاب الهيكل، فهو من الخشب المعشق والمطعم بالعاج تعلوه رسوم بسيطة وتاريخ صنعه ١٧٦١ م، ويضم سبع صور تتوسطها أيقونة السيدة العذراء وعلى جانبيها الإثنى عشر تلميذا. وكتب على باب الهيكل بالعربية (المجد لله فى العلا أدخل إلى مذبح إلهى المبهج لشبابى برسم العذراء مريم بالدمشيرية، اللهم تراءف علينا وباركنا عوض يا رب من له تعب فى ملكوتك) وكتب بالقبطية ما ترجمته. القديس يوحنا ١٤٧٧ للشهداء (١٧٦١م).

أما الهيكل الشمالى (البحرى) يستخدم كمقصورة للسيدة العذراء والقديسة يوليطة والقديس قرياقص والقديسة دميانة والأربعين شهيدة.

والهيكل الجنوبى (القبلى) باسم القديس يوحنا الحبيب وتعلو حجابه أيقونات للسيدة العذراء ورئيس الملائكة رافائيل وسوريال والقديسين بطرس وبولس الرسولين.

كما توجد بالكنيسة أيقونة كبيرة ذات وجهين تمثل صلب السيد المسيح وقيامته وهى من رسم أنسطاسى الرومى (حوالى ١٨٤٠م)، كما تضم الكنيسة عددا من الأيقونات النادرة للسيدة العذراء حاملة السيد المسيح بالطابع الحبشى، كان قد رسمها الفنان كفتاة سمراء، وأيضا بالطابع الفارسى حيث يرسمها الفنان بوجه وعيون آسيوية. وتوجد أيضا أيقونة مجىء المجوس للسيد المسيح وأيقونة صعود جسد السيدة العذراء محاطا بالملائكة. وفى الحائط الفاصل بين الهيكل الأوسط والبحرى يوجد عمودان من الجرانيت الأحمر والديوريت الأسود كبقايا من الكنيسة القديمة التى ترجع للقرن السابع الميلادى.

وفى الدور العلوى توجد كنيسة باسم رئيس الملائكة الجليل ميخائيل وهى تشبه كثيرا كنيسة الحصن التى توجد فى الأديرة، كما توجد كنيسة باسم الشهيد العظيم ماربقطر تاج الشهداء.

وتضم كنيسة العذراء الدمشيرية أجساد القديسين، حيث توجد فى الناحية الغربية مقصورة خشبية تحوى رفات الشهداء مارجرجس وأبى سيفين ومارمينا وماربقطر فى أنابيب خشبية تعلو كل منها أيقونة للقديس، وتوجد أيضا مجموعة أخرى من رفات الشهداء والقديسين. وفى الجهة الغربية البحرية يوجد مغطس مبطن بالرخام مغطى بغطاء من الرخام.

كنيسة أبى سرجة:

تعد كنيسة القديس سرجيوس باخوس المعروفة بأبى سرجة من أكثر الكنائس شهرة فى مصر القديمة، وهى على اسم قديسان من الشام. سوريا حاليا، كانا جنديين بالجيش الرومانى فى القرن الرابع الميلادى، واستشهدا دفاعا عن عقيدتيهما المسيحية، وتذكر المصادر القبطية أنة كانت توجد فى هذا المكان كنيسة فى أواخر القرن السابع الميلادى.

تقع الكنيسة داخل حصن بابليون الرومانى، ويرجع تاريخ البناء الحالى للكنيسة إلى القرن الحادى عشر الميلادى، ويأخذ شكل البازيليكا التقليدى الذى يتكون من ثلاثة أجنحة وهيكل دائرى فى الجهة الشرقية. كما تضم مغارة كانت قد أوت إليها العائلة المقدسة فى أثناء رحلتها إلى مصر.

ويوجد أسفل أرضية الجناح القبلى بصحن الكنيسة مجموعة من القبوات بها مدافن فى الغالب كانت لدفن المطارنة وتعد مغارة العائلة المقدسة أسفل الهيكل الرئيسى جزء من بناء هذا الكنيسة.

تتكـون العمارة الخارجيـة لهذه الكنيسـة البازيليكية الطراز من واجهتـين آجريتين أولاهمـا فى الناحية الشـمالية تطـل على حارة القديسـة بربارة بطابقين فى أسـفلهما مدخل هو عبارة عن باب مربع ذى مصراعين خشـبيين خاليين من الزخارف يفضى إلى الجناح الشمالى للكنيسـة، وبأعلاهما ثلاثة شبابيك مسـتطيلة. وثانيتهما فى الناحية

الغربية تطـل على حارة دير مار جرجس بطابقـين أخريين بأعلاهما ثلاثـة شـبابيك مربعة ذات تغشـيات خشـبية تتألف مـن زخارف هندسية، وبأسفلهما ثلاثة أبواب مربعة لكلى منهما مصراعان خشبيان خاليان من الزخارف، بالإضافة إلى باب رابع فى أقصى جنوبها مسدود حاليا.

وقد جرت عدة تغييرات بهذه الكنيسة فى فترة وجيزة بعد بنائها، فقد تم استبدال السقف بعد سنة ١١٦٦م، وبناء جزء من الحائط الشرقى فى الهيكل الجنوبى، وإعادة بناء أعمدة صحن الكنيسة وأعمدة القاعات التى تعلوها.

ويرجع تاريخ الرسومات الجدارية للقديسين المرسومة على أعمدة الكنيسة إلى القرن الثالث عشر الميلادى وكذلك حامل الأيقونات الخشبى، برغم أن بعض اللوحات الخشبية المنحوتة به يرجع تاريخها إلى أقدم من هذا وفى القرن الثالث عشر تم إعادة رسم الهيكل القبلى وفى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر الميلادى تم بناء قبة للهيكل البحرى.

وللكنيسة ثلاثة مداخل لكل منها باب مربع من مصراعين خشبيين خاليين من الزخارف، أما هياكل الكنيسة فتتكون من هيكل رئيس أوسط يرتفع عن أرضيتها بدرجتين يتصدره حجاب من الحشوات الخشبية المجمّعة تزينه عناصر نباتية من الأزهار والأوراق الملونة، وله فتحة باب على هيئة عقد مخموس ذات مصراعين تزينهما زخارف هندسية فيها صلبان فى وحدات مطعّمة بالسن والعاج وعليهما كتابات

عربية. يتوسط أرضية الهيكل مذبح رخامى تعلوه قبة ترتكز على أربعة أعمدة رخامية.

يكتنف هذا الهيكل الرئيس الأوسط هيكلان جانبيان أحدهما شمالى يتقدمه حجاب خشبى من حشوات مجمّعة ومطعّمة بالسن والعاج تزينها زخارف نباتية من أزهار وأروقة رمحية ملونة، يتوسطه باب ذو عقد مدبب مخموس يغلق عليه مصراعان خشبيان بهما زخارف مطعّمة ذات أشكال هندسية فيها صليبان تعلوهما كتابات عربية من سطرين، وفى أرضية هذا الهيكل باب يفضى إلى سلم هابط ينتهى إلى المغارة التى كانت السيدة العذراء قد تخفت فيها مع ولدها من بطش هيرودس أربعة أشهر.

كما غُطى هذا الهيكل بسقف من العروق الخشبية وفيه مقصورة تضم أيقونة فى أسفلها صندوق خشبى يحوى رفات القديس سرجيون.

أما المغارة فهى ذات قبو نصف دائرى يمتد أسفل الهيكل الأوسط والجناحين، ولها باب خشبى من مصراعين، وفيها ثلاث حنيات فى الشرق والشمال والجنوب.

كنيسة الست بربارة:

تقع كنيسة القديسة الشهيدة الست بربارة بحارة القديسة بربارة بجوار المعبد اليهود، فى منطقة حصن بابليون بمصر القديمة، ويرجع تاريخها إلى القرنين الرابع والخامس الميلادى سميت الكنيسة على اسم راهبة تسمى بربارة، وهى فتاة كانت بالغة الحسن، ولدت فى

إحدى مدن آسيا الصغرى فى أوائل القرن الثالث الميلادى من أب ثرى وثنى يدعى ديفوروس، وتلقت علومها على يد العالم اللاهوتى المصرى أورتجانوس، ثم اعتنقت الديانة المسيحية، ورفضت الزواج لتكريس حياتها لخدمة الديانة التى اعتنقتها. وأخيراً شكا والدها أمرها إلى الوالى الرومانى (مرقيان) واتفق معه على زيادة تعذيبها فاحتملت كل أنواع العذاب بصبر عجيب فاضطر الوالى فى النهاية إلى التخلص منها بقتلها هى وتابعتها القديسة (يوليانه).

تخربت الكنيسة فى عصور تالية فأعاد بناءها الوزير القبطى يوحنا سنة ١٠٧٢م فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله.

وتقع الكنيسة تحت مستوى الأرض بحوالى المتر واثنان وأربعون سنتيمتر؛ ويمكن الوصول إليها بالهبوط عدة درجات على سلم حجرى. بنيت واجهاتها من الحجر والآجر معا. وكانت عمارتها القديمة الأورثوذكسية الطراز عبارة عن صحن وجناحين تعلوهما شرفة للنساء، وثلاثة هياكل. غير أن هذا التخطيط قد طرأت عليه عدة تعديلات لاحقة أدت إلى ضم ذراعين متصلين فى الشكل والمساحة لهذا التخطيط حتى يستكمل المبنى الكنسى شكل الصليب. وأحيط جزء من الجناح الشمالى مع كل الرواق بحائط ليمكن استخدامه كممر إلى الكنيسة وإلى حجرات المعيشة وليتحول الرواق إلى منظرة تماثل فى عرضها عرض الصحن.

وللكنيسة صحن مغطى بسقف جمالونى خشبى، وفرشت أرضيته ببلاطات حجرية، وتقع هياكل الكنيسة فى الناحية الشرقية وتغطيها أنصاف قباب مرتفعة. وهى تتكوّن من هيكل رئيس أوسط مكرس على

اسم القديسة بربارة يتقدمه حجاب من خشب الجوز الهندى تزينه أطباق نجمية تعد آية من آيات الفن الزخرفى المطعم بالصدف والعاج وفى وسطه مذبح رخامى حديث، تعلوه مظلة خشبية ترتكز على أربعة أعمدة رخامية، ويتصدر حائطه الشرقى محراب ذو سبعة جوانب سفلية تتجمع عند السقف على هيئة نصف دائرة.

يكتنف هذا الهيكل الرئيس هيكلان جانبيان يغطى كلا منهما سقف عبارة عن نصف قبة، أحدهما جنوبى مربع الشكل ذو أرضية من البلاطات الحجرية. وفى الحائط الشمالى خزانة صغيرة، بالإضافة إلى باب يفضى إلى قاعة تشتمل على مقصورة حديثة باسم القديسة بربارة، والآخر شمالى به باب يفضى إلى صحن كنيسة صغيرة، بها ثلاثة هياكل صغيرة تضم مذبحين حديثين.

أما عن تصميم كنيسة القديسة برباره فهو على الطراز الأورثوذوكسى الأصلى ولها صحن وجناحان يفصلهما عن الصحن عشرة أعمدة خمسة من كل جانب، ثم اثنان فى الناحية الغربية أمام المدخل، وفوق هذه الأعمدة الرخامية التيجان كما فى الكنائس الآخرى، ويلاحظ أنّ من بينها تاج نقوشه على شكل سعف النخيل، وكانت تزين سطوحها الرسوم الملونة بأشكال الرسل والأنبياء رمزا للتعاليم التى تقوم عليها كنيسة المسيح. وهذه الأعمدة متصلة كالعادة بإفريز خشبى ردج. وفى بعض أجزائه توجد آثار الرسوم الملونة التى كان يزخر بها هذا الإفريز. كما أنّ الأجزاء الخشبية التى أدركها البلى قد رممت بقطع حديثة.

ويوجد فى صحن الكنيسة (اللقان) المعد لغسل الأرجل كالمعتاد. ويقع شمال صحن الكنيسة المنبر(الأنبل) الرخامى وهو على نمط منبر كنيسة أبى سرجه المجدد فى الشرائح الرخامية الملونة، وعلى لوحته الرئيسية نقوش بارزة تمثل صلبانا داخل أكاليل زخرفية وعليها آثار الألوان ويقوم على عشرة أعمدة رخامية صغيرة.

قاعة العرسان بكنيسة مارى جرجس:

تقع داخل حصن بابليون وهى من بقايا كنيسة مار جرجس ويعود تاريخها إلى القرن العاشر الميلادى تقريبا.

كانت هذه الكنيسة من أجمل كنائس الحصن الرومانى، وحسب بعض المصادر شيدها الكاتب الثرى أثناسيوس حوالى سنة ٦٨٤ ميلادية ولكنها لسوء الحظ التهمتها النيران منذ ثمانين سنة وبنيت مكانها كنيسة جديدة. ولم يبق من الكنيسة القديمة إلا قاعة استقبال تعرف «بقاعة العرسان» يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادى.

وتنقسم هذه القاعة التى يبلغ طولها ١٥ مترا وعرضها ١٢ مترا تقريبا إلى «قاعة» و «إيوانين»، بالإيوان القبلى بعض نوافذ من الخشب عليها نقوش بارزة وتزين جدرانه نقوش بارزة من الجبس وعلى سقفها رسوم ملونة.

كنيسة قصرية الريحان

تعرف هذه الكنيسة فى التاريخ باسم كنيسة السيدة العذراء أو «قصرية الريحان»، وتقع بزقاق متفرع بمنطقة حصن بابليون.

وترجع تسمية الكنيسة باسم «قصرية الريحان» إلى رواية تذكر أن أحد الأقباط فى عصر الدولة الطولونية وقع عليه ظلم بين، فتشفع بالسيدة العذراء مريم فاستجاب الله ورد ماله الذى اغتصب منه، فنذر أن يبنى كنيسة لله على اسم السيدة العذراء، فظهرت له فى حلم وأنبأته عن موقع الكنيسة الحالى، وأوضحت له هذا المكان بعلامة مميزة ألا وهى أصيص به نبات الريحان العطرى (قصرية ريحان) وفعلا ذهب إلى المكان فوجد هذا الأصيص ذى النبات زكى الرائحة فبنى بيعة جميلة فى هذا المكان وزين نوافذها برسم يمثل قصرية الريحان باستخدام الزجاج المعشق الذى اشتهر به المصريون.

وقد أقام بها أحد البطاركة حوالى سنة ٨٦٥ ميلادية، ومن ذلك يتضح أن الكنيسة كانت موجودة قبل هذا التاريخ ولكن ليس بكثير المهم أنها بنيت فى القرن التاسع الميلادى، وجددت أكثر من مرة كان آخرها عام ١٧٧٨م، وهذا التاريخ كان مدون على حجاب الهياكل والذى كان يعتبر تحفة فنية حيث كان مصنوعا من الخشب المعشق والمطعم بسن الفيل والصدف.

ويضم المتحف القبطى ضمن مقتنياته الثمينة صندوق من الفضة لحفظ الإنجيل مدون عليه أنه وقف على كنيسة السيدة العذراء بقصرية

الريحان ومدون تاريخه (١١٤٠ للشهداء الموافق ١٤٢٤م). وكانت هناك أيضا أيقونة للسيدة العذراء مريم فى المقصورة الأولى على يمين الداخل للكنيسة كان مدون عليها تاريخ صنعها فى ١٠٩٢م للشهداء أى من حوالى ستمائة عام، وهذا يدل على الكنيسة التى كانت كائنة فى كل هذه العصور.

ويبلغ طول الكنيسة ١٦ مترا وعرضها ١٤ مترا وارتفاعها ١٠ أمتار تقريبا ويغطى صحنها وهياكلها قباب من الطوب مرتكزة على أعمدة رخامية.

❑❑❑

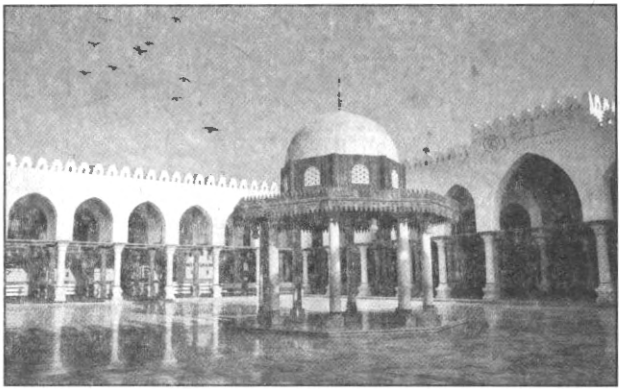

ميضئة وصحن جامع عمرو بن العاص

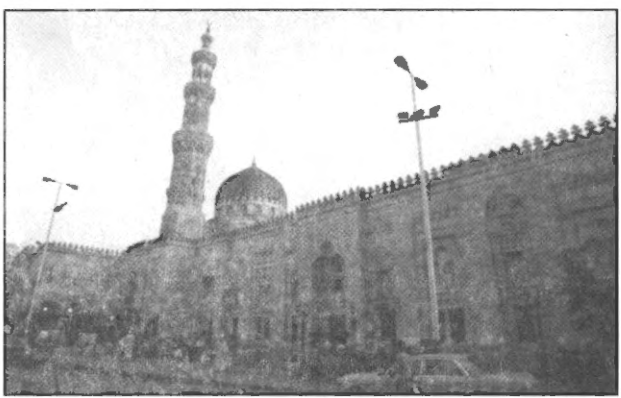

ضريح ومسجد السيدة زينب

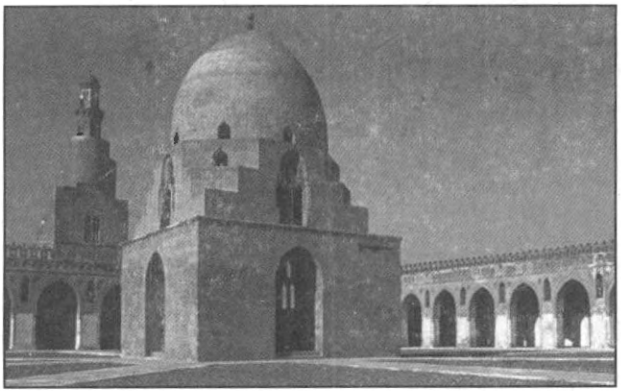

مسجد ابن طولون

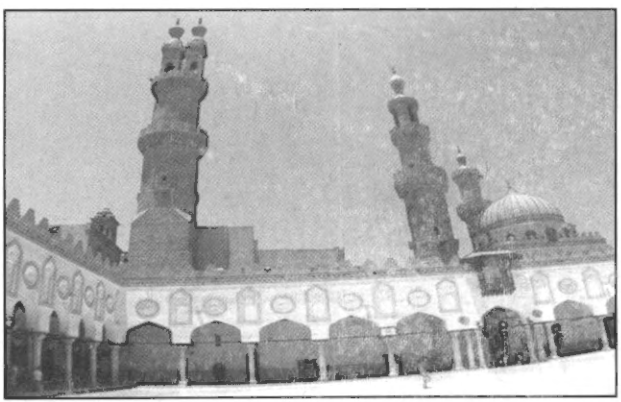

الجامع الأزهر

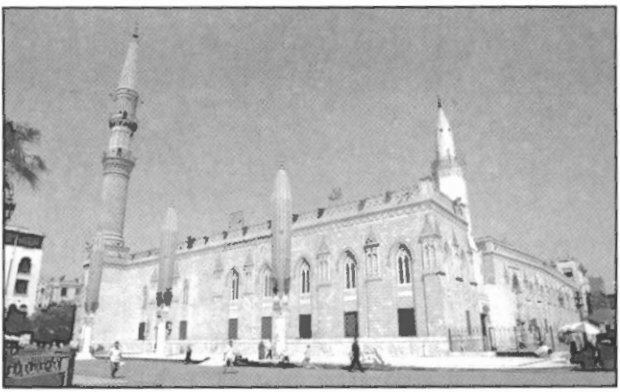

مسجد الإمام الحسين

الجامع الأقمر بشارع المعز لدين الله الفاطمى

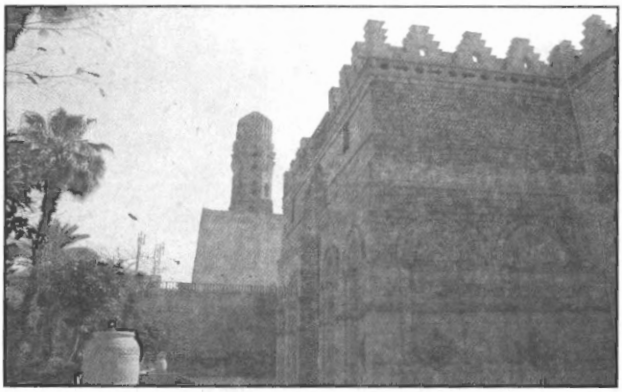

مئذنة جامع الأقمر

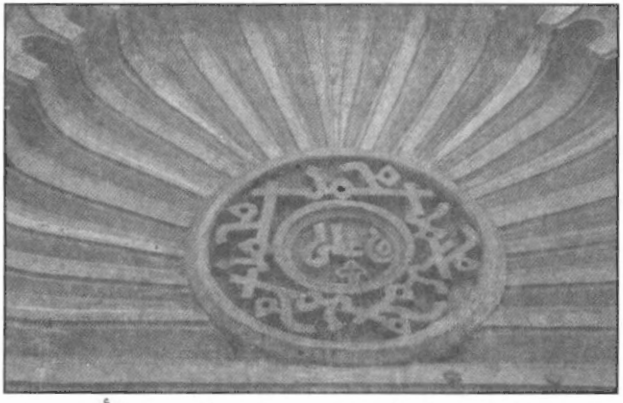

زخارف كتابية (محمد وعلى) الجامع الأقمر

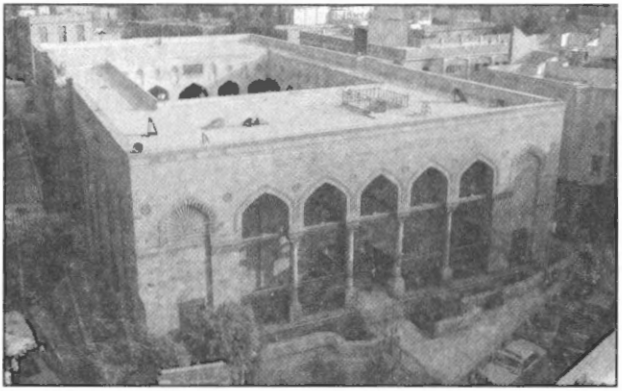

جامع الصالح طلائع

جامع الظاهر بيبرس

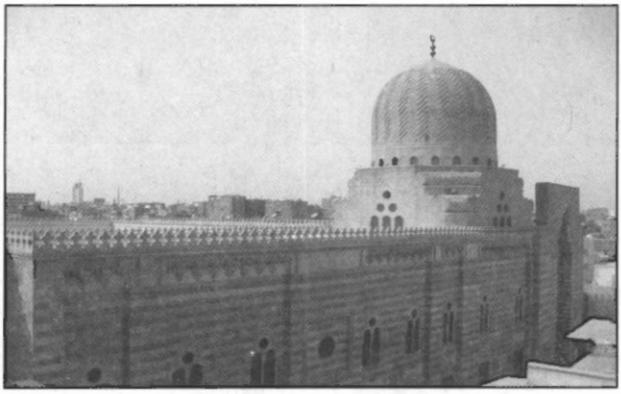

جامع المؤيد

جامع محمد على

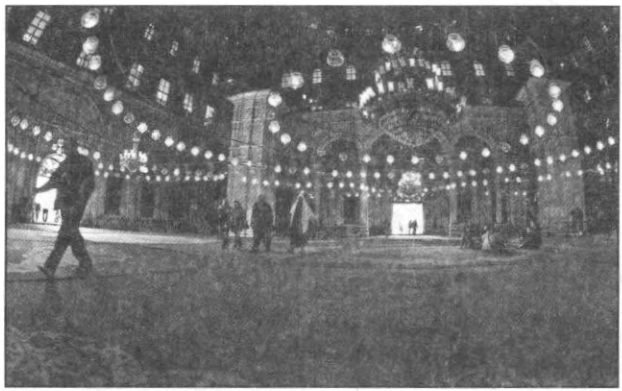

جامع محمد على من الداخل

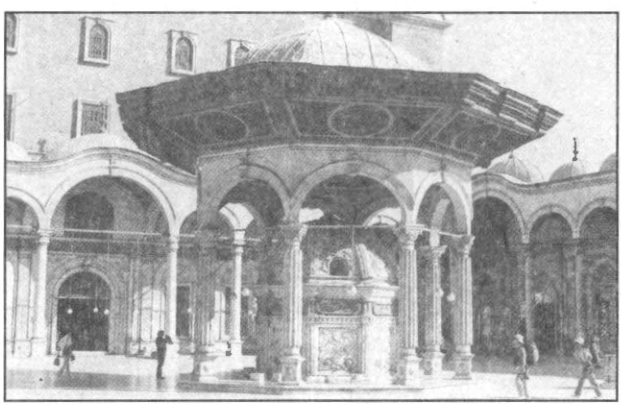

صحن جامع محمد على

برج الساعة فى جامع محمد على

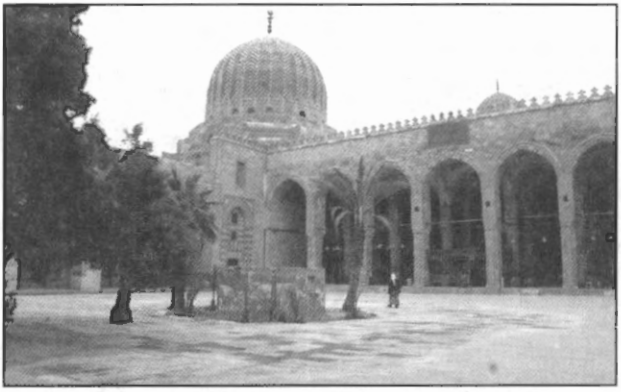

خانقاه فرج بن برقوق بقرافة المماليك بالقاهرة

التكية المولوية

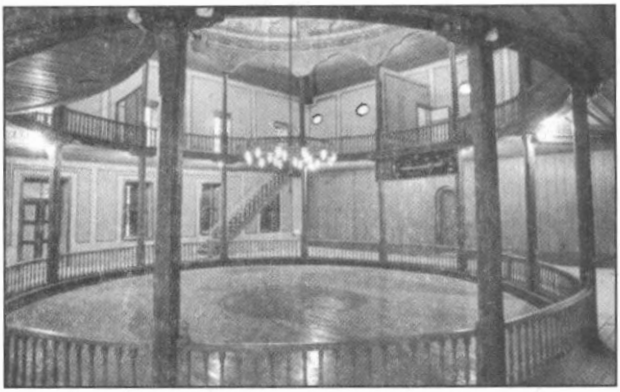

قاعة الرقص الصوفى بالتكية المولوية بالقاهرة

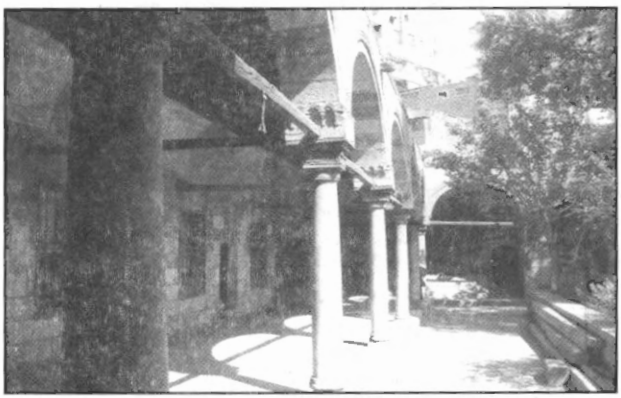

تكية السلطان محمود بالقاهرة

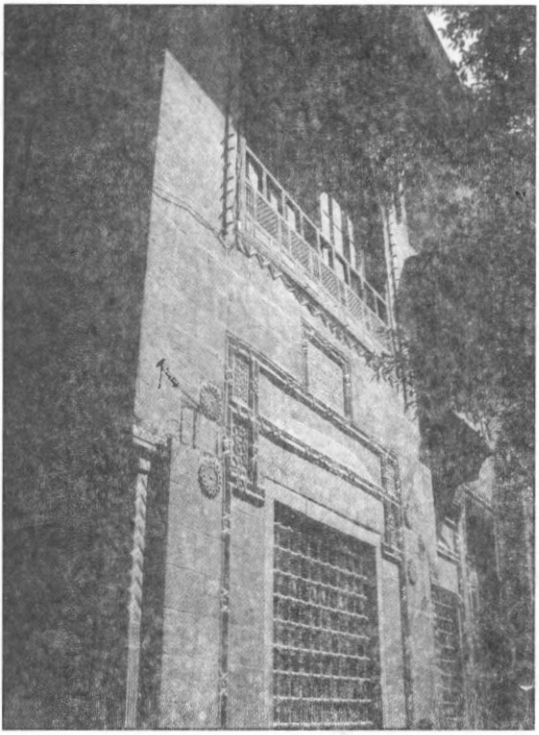

تكية محمود خان

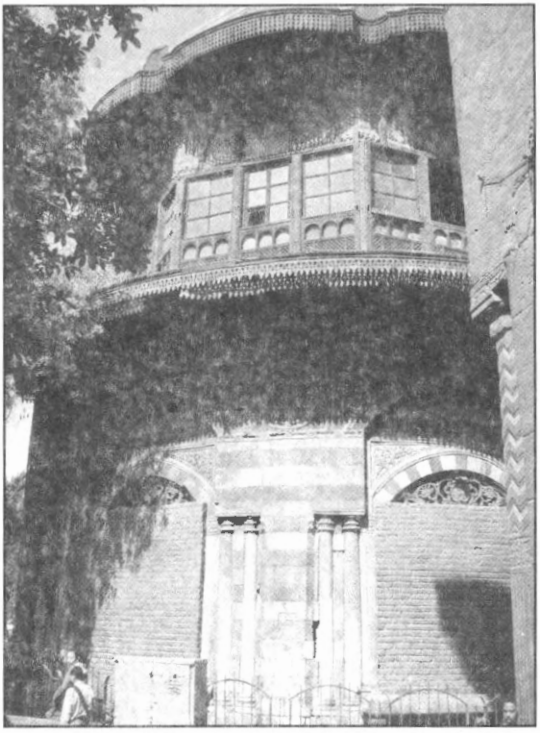

سبيل تكية محمود خان

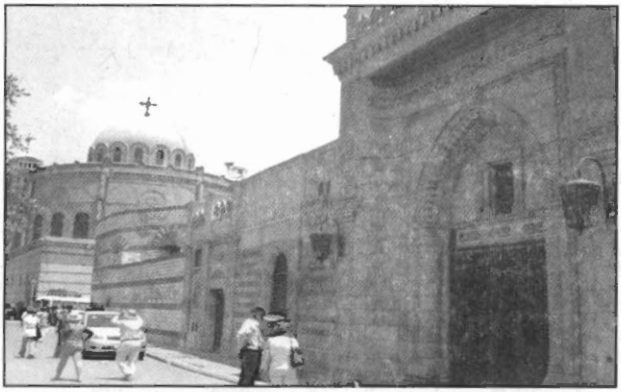

كنائس مصر القديمة

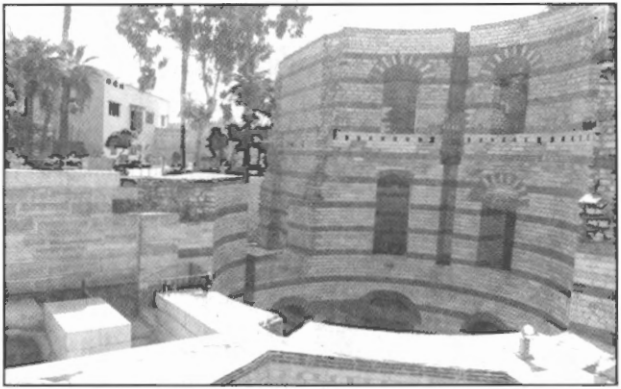

حصن بابليون – مصر القديمة

الكنيسة المعلقة

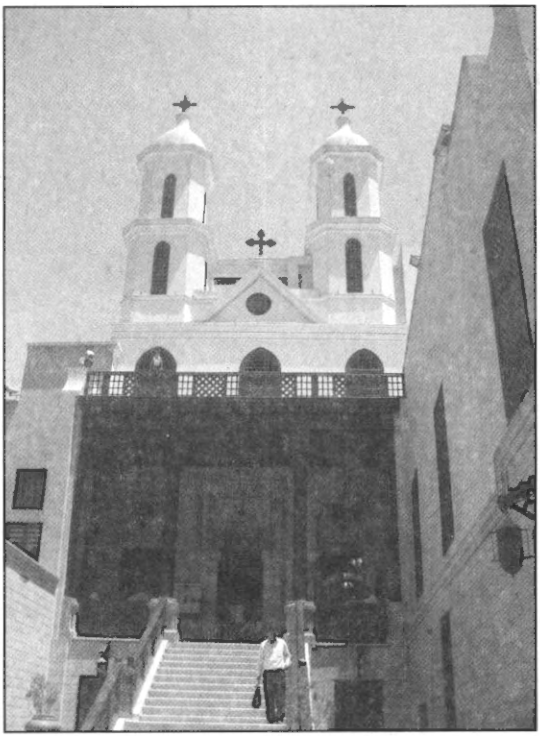

واجهة الكنيسة المعلقة

أيقونة للقديس أبى سيفين

كنيسة أبى سيفين

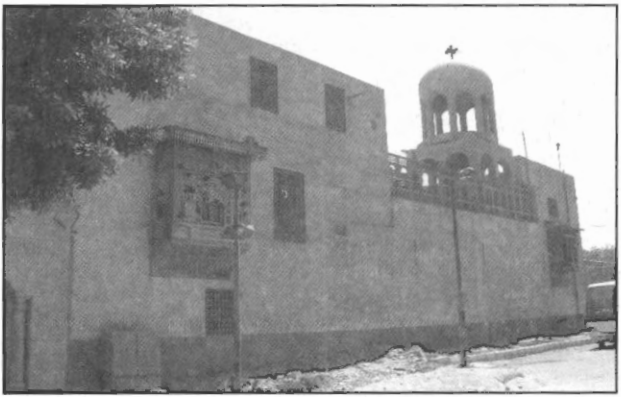

كنيسة الأنبا شنودة

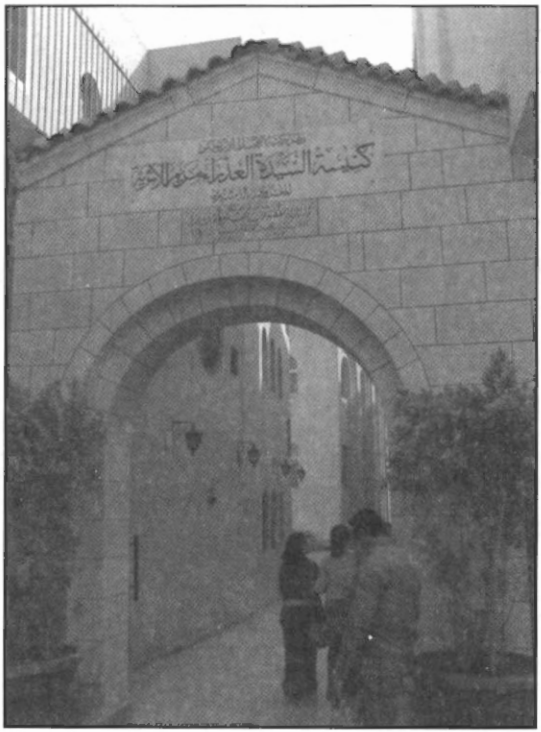

كنيسة العذراء الدمشيرية

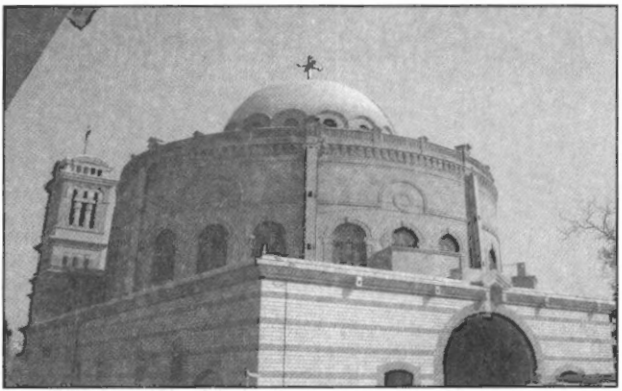

كنيسة مارجرجس

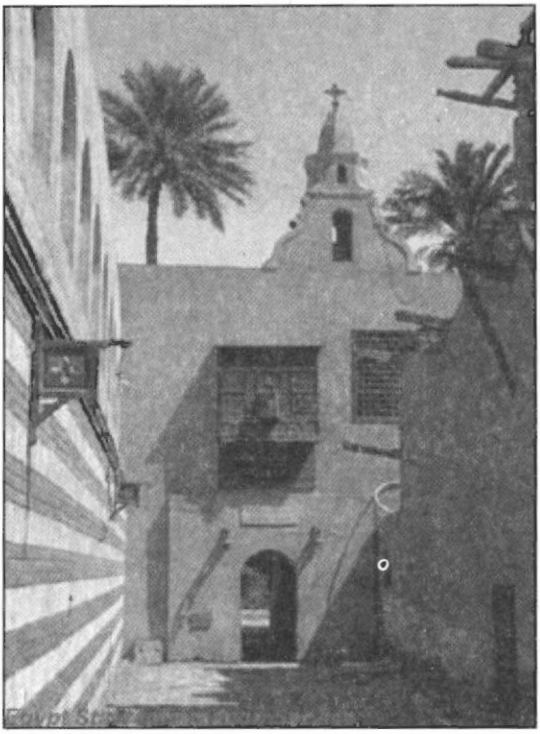

كنيسة قصرية الريحان